بــلاغ عـن مـولـود حـى*

د. حامد أبو جمرة**

مقدمة :

لقد أصبحت مشكلة الزيادة السكانية فى مصر محل اهتمام كبير لما لها من تأثير سلبى على التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وذلك لأن التنمية من أجل استيعاب الزيادة السكانية تتم على حساب التنمية من أجل رفع مستوى المعيشة. ومن ثم بات من الضرورى العمل على خفض معدل النمو السكانى إلى الصفر فى أقصر مدة ممكنة. وعندئذ تصير كل جهود التنمية مخصصة لرفع مستوى المعيشة كما هو الحال فى الدول المتقدمة. والواقع أن توقف السكان عن النمو فى بلد مكتظة بالسكان كمصر ستكون له فوائد كثيرة ومتعددة الأبعاد. وتحقيق خفض معدل النمو السكانى إلى الصفر يحتاج إلى عمل وفق خطة وأساليب عمل مؤثرة. وهذا ما ستحاول هذه الورقة عرضه.

---

* مداخلة مقدمة لاجتماع الخبراء بمركز القاهرة الديموجرافى عن (حلول غير تقليدية للمسألة السكانية).

** مستشار إقليمى سابق بالأمم المتحدة ومستشار بمركز القاهرة الديموجرافى وعضو المجمع.

عوامل النمو السكانى :

من المعروف أن الزيادة السكانية الطبيعية هى محصلة الفرق بين المواليد والوفيات. وفى الماضى كانت الزيادة السكانية الطبيعية ضعيفة أو منعدمة بسبب ارتفاع معدلات كل من المواليد والوفيات. فقد كانت معدلات الوفيات مرتفعة وخاصة بين الصغار من الرضع والأطفال وبين الأمهات أثناء الحمل والولادة. وبالتالى كان عدد الأبناء الذين يعيشون لسن متقدمة قليلا، وهذا يعنى أن الوفيات كانت تعمل على تحديد النسل بعد إنجاب الأطفال وليس قبل الحمل وعلى توقف المرأة عن الإنجاب بوفاتها. وهذا الوضع كان يمثل خسارة كبيرة للأم والأسرة والمجتمع. فالجهد المبذول فى الحمل والرضاعة والتربية يذهب هباءا بسبب الوفاة. ولذلك كان لابد من العمل على وقف هذه الخسارة بالعمل على خفض وفيات صغار السن من الأطفال والرضع منهم دون سن الشيخوخة.

ويمكن القول بأن الوفيات بين صغار السن قد انخفضت فى كل الدول ولكن بدرجات متفاوتة. فوفيات الرضع والأطفال فى الدول المتقدمة شبه منعدمة، فمعدل الوفيات دون سن الخامسة أقل من واحد فى المائة فى دول غرب أوروبا بينما هو حوالى ٢٥ فى المائة فى أفغانستان. ومازالت تبذل الجهود لخفض معدلات الوفيات بين صغار السن. وهذا الانخفاض يستلزم انخفاض عدد المواليد الذين تنجبهم المرأة لإعادة التوازن بين أعداد المواليد والوفيات وبالتالى انخفاض الزيادة السكانية. فظاهرة الأم التى أنجبت العديد من الأبناء والباقين على قيد الحياة والشائعة فى الوقت الحاضر كانت نادرة الحدوث فى الماضى.

وقد نجحت مصر فى خفض الوفيات إلى حد كبير ونجحت كذلك فى خفض متوسط مواليد المرأة. وكان انخفاض معدلات الوفيات أسبق وأسرع من انخفاض المواليد مما أدى إلى تزايد السكان بمعدلات مرتفعة. ويوضح الجدول التالى تطور

معدل الوفيات دون سن الخامسة ومتوسط مواليد المرأة والمعروف بإسم معدل الخصوبة الكلى فى مصر.

جدول (١) : تطور معدل الخصوبة الكلى ومعدل الوفيات دون الخامسة.

السنة	معدل الخصوبة الكلى	معدل الوفيات *
١٩٥٥-٥٠	٦.٥٦	٣٤٣
١٩٦٠-٥٥	٦.٩٧	٣١١
١٩٦٥-٦٠	٧.٠٧	٢٩٧
١٩٧٠-٦٥	٦.٥٨	٢٦٨
١٩٧٥-٧٠	٥.٥٣	٢٥٠
١٩٨٠-٧٥	٥.٢٧	٢١٣
١٩٨٥-٨٠	٥.٠٦	١٧٧
١٩٩٠-٨٥	٤.٥٣	٩٢
١٩٩٥-٩٠	٤.٠٠	٧٩
٢٠٠٠-٩٥	٣.٤٢	٦٤

المصدر : من تقديرات الأمم المتحدة * فى الألف

من هذا الجدول يتضح أن مصر قد نجحت فى خفض معدل الوفيات دون سن الخامسة إلى أقل من خمس ما كان عليه فى منتصف القرن العشرين. ونجحت أيضا فى خفض معدل الخصوبة الكلى إلى حوالى ٣.٤ مولود للمرأة. ومن ثم يمكن القول بأن متوسط المواليد للمرأة قد اقترب من مستوى الإحلال وهو ٢.١ مولود للمرأة والذى يؤدى إلى توقف النمو السكانى ويمثل الحد الأدنى المستهدف. ومن الجدير بالذكر أن

بعض الدول المتقدمة قد تجاوزت هذا الحد الأدنى وأصبحت تعانى من تناقص السكان.

تخفيض متوسط مواليد المرأة :

من المؤكد علميا أن تخفيض معدل الخصوبة الكلى (متوسط مواليد المرأة) إلى مستوى الإحلال وهو ٢.١ مولود للمرأة يؤدى إلى توقف نمو السكان. وتخفيض معدل الخصوبة يمكن أن يتم من خلال تأخر سن الزواج أو عدم الزواج بين شريحة كبيرة من النساء وهذا وضع مكروه ينتج عنه الكثير من المشاكل النفسية والاجتماعية، أو من خلال استخدام وسائل تنظيم الأسرة وهذا له فوائد كثيرة. والواقع أن خفض الخصوبة المتبقى للوصول إلى مستوى الإحلال المستهدف يمثل المرحلة الصعبة فى مسيرة التحول من الخصوبة المرتفعة إلى الخصوبة المنخفضة، ويحتاج إلى أساليب جديدة تساعد على تحويل السيدات غير المهتمات بتنظيم أسرهن إلى ممارسات.

وعندما نتكلم عن متوسط المواليد فمن المعروف أن هنالك نساء ينجبن أقل منه وأخريات ينجبن أكثر منه. ولخفض المتوسط يلزم التعامل مع الفئة الأخيرة ليتوقفن عن الإنجاب. وتظهر دراسات الخصوبة عن تفاوتها بين الفئات الاجتماعية المختلفة. فهناك فئات وصلت خصوبتها للحد الأدنى وفئات مازالت فى أول الطريق. ولتحقيق خفض الخصوبة يلزم الاهتمام بتلك الفئة الشاردة والتى لا تهتم بتنظيم أسرتها ومستقبل أبنائها ومساعدتها فى خفض الخصوبة. فالدعوة للصلاة يجب أن توجه لمن هم خارج الجامع وليس لمن هم بداخله.

ولحسن الحظ أنه توجد فى مصر وسيلة جيدة ودقيقة للتعرف على الأسرة غير الملتزمة بتنظيم الأسرة. وبالتالى يمكن الاستفادة من هذه الوسيلة للوصول لهذه الأسرة لكى يتم التعامل معها بشكل مباشر ومساعدتها على ممارسة التنظيم. ففى مصر

نظام جيد لتسجيل المواليد يتطلب الإبلاغ عن كل مولود لاستخراج شهادة الميلاد وتلقى الرعاية من تطعيمات وخلافه. وهذا البلاغ عن المولود يحتوى على مجموعة هامة من البيانات والتى يمكن الاستفادة منها فى الاستدلال على الأسر غير الملتزمة بتنظيم الأسرة. فهذه البيانات تشمل ترتيب المولود (الأول، الثانى، الثالث، الرابع، .. الخ) وعدد المواليد الباقين على قيد الحياة ومحل إقامة الأم. ومن الواضح أن الأم لمولود ذى ترتيب عال غير ملتزمة بتنظيم الأسرة ويلزم التعامل معها ومساعدتها للتوقف عن الإنجاب. والجدول التالى يوضح المواليد أحياء حسب ترتيب المولود فى مصر عام ١٩٩٨.

جدول (٢) : المواليد أحياء حسب ترتيب المولود فى مصر عام ١٩٩٨.

ترتيب المولود	حضر	ريف	جملة
الأول	٢٩٥٢٤٢	٣٥٣١٧٢	٦٤٨٤١٤
الثانى	١٧٧١٩١	٢٣٩٤٠٣	٤١٦٥٩٤
الثالث	١٠٥٧٠١	١٥٨١٦٧	٢٦٣٨٦٨
الرابع	٥٤٣٣٦	١٠٧٣٨٦	١٦١٧١٢
الخامس	٢٦٧١٩	٦٦١٥٩	٩٢٨٧٨
السادس	١٣٧٨٩	٣٩٩٤٥	٥٣٧٣٤
السابع	٦٧٢٤	٢٠٦٩٩	٢٧٤٢٣
الثامن	٣٢٣٦	١٠١٠٨	١٣٣٤٤
التاسع	١٣٧٢	٤٣٣٢	٥٧٠٤
العاشر فأكثر	٩٣٣	٢٦٤٨	٣٥٨١
الجملة	٦٨٥٢٣٣	١٠٠٢٠١٩	١٦٨٧٢٥٢

المصدر : جهاز التعبئة العامة والإحصاء، نشرة إحصاءات المواليد والوفيات.

من جدول رقم (٢) يتضح وجود عدد كبير من السيدات يقمن بالإنجاب بعد المولود الثالث. ويبلغ عدد المواليد الذين ترتيبهم الرابع فأكثر ٣٥٨٣٧٦ مولودا، منهم ٢٥١٢٧٧ مولودا فى الريف و ١٠٧٠٩٩ مولودا فى الحضر، ويمثلون ٢٥.١% من مواليد الريف و ١٥.٦% من مواليد الحضر.

ولخفض الخصوبة فى مصر فى أقصر مدة يلزم التعامل مع تلك الفئة من السيدات الشاردات فى عدد المواليد. فلم يعد مقبولا أن تترك سيدة وضعت مولودا ذا ترتيب عال لتستمر فى الإنجاب بدون اعتبار لظروفها الاقتصادية والصحية والاستفادة من استخدام وسائل منع الحمل. ولذلك يلزم وضع برامج عمل خاصة لتلك الفئة من السيدات يتم فيها التنسيق بين مكاتب الصحة ووحدات تنظيم الأسرة وكلاهما تابع لوزارة الصحة والسكان. فعند تلقى مكتب الصحة بلاغ عن مولود حى لتسجيله وكان هذا المولود ذا ترتيب عال يقوم مكتب الصحة بإخطار وحدة تنظيم الأسر بعنوان وأسم الأم لتقوم وحدة تنظيم الأسرة بالتعامل مع تلك الحالة. وقد يكون من المفيد فى التعامل مع بعض الحالات إلى جانب التوعية وتوفير خدمات تنظيم الأسرة اللجوء إلى استخدام الحوافز الإيجابية. ولذلك يمكن اعتبار البلاغ عن مولود ذى ترتيب عال هو بلاغ عن أسرة غير ملتزمة بتنظيم الأسرة.

تظهر دراسات الخصوبة أن كثرة الإنجاب تحدث فى الغالب بين الفئات الفقيرة ولذلك فإن المساعدة هنا يمكن أن تهدف إلى جانب خفض الخصوبة إلى تحسين مستوى معيشة هذه الأسر. ومن ثمة يمكن القول بأن البلاغ عن المولود يوفر مدخلاً لبرنامج عمل قد يكون متعدد الأهداف ويمكن أن تقوم فيه الجمعيات الأهلية بدور هام. ونتائج هذا البرنامج ستكون سريعة لأنه يتعامل مع الفئات الشاردة والأكثر حاجة لخدمات تنظيم الأسرة.